الشفاعة في الخروج من النار:

لا يستطيع أحد أن يشفع عند الله كشفاعة أتباع الملوك عند الملوك لمجرد وجود جاه عندهم يشفعون! لا، وإنما الشفاعة يوم القيامة تكون أولًا بإذن الله ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، ثم تكون فيمن ارتضىٰ الله -وهم أهل التوحيد- ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ وأما غير الموحّد فلا تنفعه الشفاعة، ولا يأذن الله في الشفاعة لهم.

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله سيُخرِج من أهل النار أقوامًا ممن في قلوبهم خير من أهل التوحيد، ممن استحقوا النار بذنوبهم، ممن لم تكن لهم حسنات كافية في الدنيا فيُطهّرون في جهنم، ثم يُخرَجون منها، ويدخلون الجنة، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ بقوله: «**حتىٰ إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله، فيعرفونهم في النار بأثر السجود، تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله علىٰ النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون تحته كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقىٰ رجل مقبل بوجهه علىٰ النار، هو آخر أهل النار دخولا الجنة، فيقول: أي رب، اصرف وجهي عن النار؛ فإنه قد قشبني ريحها، وأحرقني ذكاؤها.**

فيدعو الله بما شاء أن يدعوه، ثم يقول الله: هل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره؟ فيقول: لا وعزتك، لا أسألك غيره. ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل علىٰ الجنة ورآها، سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب، قدمني إلىٰ باب الجنة. فيقول الله له: ألست قد أعطيت عهودك ومواثيقك ألا تسألني غير الذي أعطيت أبدا، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك؟ فيقول: أي رب. ويدعو الله حتىٰ يقول: هل عسيت إن أعطيت ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك، لا أسألك غيره. ويعطي ما شاء من عهود ومواثيق، فيقدمه إلىٰ باب الجنة، فإذا قام إلىٰ باب الجنة، انفهقت له الجنة، فرأىٰ ما فيها من الحبرة والسرور، فيسكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب، أدخلني الجنة. فيقول الله: ألست قد أعطيت عهودك ومواثيقك ألا تسأل غير ما أعطيت؟ فيقول: ويلك يا ابن آدم، ما أغدرك. فيقول: أي رب، لا أكونن أشقىٰ خلقك. فلا يزال يدعو حتىٰ يضحك الله منه، فإذا ضحك منه قال له: ادخل الجنة. فإذا دخلها، قال الله له: تمنه. فسأل ربه وتمنىٰ، حتىٰ إن الله ليذكره، يقول كذا وكذا حتىٰ انقطعت به الأماني. قال الله: ذلك لك ومثله معه». أخرجه الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما[1]

(١) البخاري (٧٤٣٧) ومسلم (١٨٢)

وهذه الشفاعة ليست خاصة بالنبي ﷺ، بل هي لكثير من المؤمنين، وأما الخاصة به -وهي المقام المحمود الذي وُعِدَه- فهي للأمم كلها في الفصل والقضاء والحساب بعد طول الموقف والهول كما مرّ معنا. وهنا يأتي شيء من أثر الصحبة الصالحة في الدنيا، فإن أناسًا من المؤمنين سيشفعون لمعارفهم وأصدقائهم من أهل التوحيد -بإذن الله تعالىٰ- كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ في صحيحي البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالىٰ عنه حين ذكر نجاة من نجا من المؤمنين علىٰ الصراط، قال: «**وإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون: ربنا إخواننا، كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويعملون معنا. فيقول الله تعالىٰ: اذهبوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه. ويحرم الله صورهم علىٰ النار، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلىٰ قدمه، وإلىٰ أنصاف ساقيه، فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون فيقول: اذهبوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه. فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون فيقول: اذهبوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه. فيخرجون من عرفوا -قال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقرؤوا:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا﴾- فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبار: بقيت شفاعتي. فيقبض قبضة من النار، فيخرج أقواما قد امتحشوا، فيلقون في نهر بأفواه الجنة، يقال له: ماء الحياة. فينبتون في حافتيه كما تنبت

الحبة في حميل السيل، قد رأيتموها إلىٰ جانب الصخرة إلىٰ جانب الشجرة، فما كان إلىٰ الشمس منها كان أخضر، وما كان منها إلىٰ الظل كان أبيض، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ، فيجعل في رقابهم الخواتيم، فيدخلون الجنة، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن، أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه. فيقال لهم: لكم ما رأيتم، ومثله معه»

دخول الجنة:

وعد الله عباده المؤمنين بالجنة، والإيمان بها إيمان بالغيب، كما قال الله سبحانه: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾ ثم أعدّها وهيأها وزينها وعرّفها لهم، حتىٰ أصبحت علىٰ صورة لا يمكن لبشر أن يصفها، ففيها من النعيم ما لم يخطر -حتىٰ في الخيال- علىٰ قلب إنسان، كما ثبت في الحديث الصحيح عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر. فاقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾**»(١) وقد ذكر الله في كتابه كثيرا من الآيات في وصف الجنة، وكذلك النبي ﷺ في عشرات أو مئات الأحاديث، وكَتَب العلماء في وصف الجنة كتبًا خاصة، منها: كتاب حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح للإمام

---

(١) صحيح البخاري (٣٢٤٤)

ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولأن المقام هنا مختصر ولا يمكنني استيفاء صفات الجنة، ولا كثيرا منها، فسأكتفي بثلاثة أحاديث صحيحة فقط، لعلها تقرّب شيئا من الصورة، نسأل الله تعالىٰ أن يرزقنا الجنة ويجعلنا من أهلها.

١- عن أنس عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي مرة، ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة، فيقول: أي رب، أدنني من هذه الشجرة، فلأستظل بظلها، وأشرب من مائها. فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ: يا ابن آدم، لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول: لا يا رب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره، لأنه يرىٰ ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولىٰ، فيقول: أي رب، أدنني من هذه لأشرب من مائها، وأستظل بظلها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها، فيقول: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها، فيعاهده ألّا يسأله غيرها، وربه يعذره، لأنه يرىٰ ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين. فيقول: أي رب، أدنني من هذه؛ لأستظل بظلها،**

وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها. فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني ألا تسألني غيرها؟ قال: بلىٰ يا رب، هذه لا أسألك غيرها، وربه يعذره؛ لأنه يرىٰ ما لا صبر له عليها، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها، فيسمع أصوات أهل الجنة. فيقول: أي رب، أدخلنيها. فيقول: يا ابن آدم، ما يصريني منك، أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا رب، أتستهزئ مني، وأنت رب العالمين؟» فضحك ابن مسعود، فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ. فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: «**من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ مني، وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكني علىٰ ما أشاء قادر**»[1]. وفي رواية في الصحيح لحديث ابن مسعود من طريق عبيدة عنه: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعرف آخر أهل النار خروجا من النار رجل يخرج منها زحفا، فيقال له: انطلق، فادخل الجنة. قال: فيذهب، فيدخل الجنة، فيجد الناس قد أخذوا المنازل. فيقال له: أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ فيقول: نعم. فيقال له: تمن، فيتمنىٰ. فيقال له: لك الذي تمنيت، وعشرة أضعاف الدنيا. قال: فيقول: أتسخر بي، وأنت الملك؟**» قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتىٰ بدت نواجذه.

---

(١) صحيح مسلم (١٨٧)

٢- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتىٰ بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيرا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتىٰ بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤسا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط**»(١).

٣- عن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالىٰ: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: «فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلىٰ ربهم** عز وجل». وفي رواية: ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾(٢).

﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾، ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٥ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧﴾.

---

(١) صحيح مسلم (٢٨٠٧)

(٢) صحيح مسلم (١٨١)

جهنم:

للطغاة يوم ينالون فيه العقوبة، وللعاصين مكان يذوقون فيه جزاءهم، وهو مكان مهول مخيف، عذابه لا يُطاق، وجحيمه لا يُحتَمَل: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾

وهي ليست نارًا عادية، بل حرارتها مضاعفة، وقعرها بعيد، وظلمتها شديدة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم**». قيل: يا رسول الله، والله إنْ كانت لكافية! قال: «**فضلت عليهن بتسعة وستين جزءا، كلهن مثل حرها**»[(١)]

وفيها أصناف من النكال والعذاب، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ ولذلك سماها الله بأسماء متعددة، كل اسم منها يدل علىٰ معنىٰ ووصف وأثر لها، فمن أسمائها في القرآن: سقر، ولظىٰ، والسعير، والحطمة، والجحيم، وجهنم، والنار.

ويجعل الله أجسام الكفار فيها أكبر من المعتاد لكي يذوقوا العذاب، بالإضافة إلىٰ أنه يبدّل جلودهم كلما احترقت، كما قال سبحانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾

---

(١) صحيح البخاري (٢٨٤٣)

ويتمنىٰ من فيها الموت بكل وسيلة لكي ينجو من العذاب، ولكن هيهات فقد فات الأوان، ولا مجيب لهم ولا مغيث، ولا يكلمهم الله ﷻ، فنسأل الله العافية.

هذا؛ وإن الموفق حقًا من رزقه الله الاهتمام بمعرفة ما يُسبب دخول النار من الظلم والشرك والغش وترك الصلاة ومن القول علىٰ الله بلا علم ومن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من المنكرات، ثم رزقه العمل علىٰ اجتنابها.

الركن السادس من أركان الإيمان
الإيمان بالقدر خيره وشره

لا يُقدّر الله شرًا محضًا:

أخبر النبي ﷺ في حديث جبريل أن من أركان الإيمان: «**أن تؤمن بالقدر خيره وشره**» والسؤال هنا: هل يكون من أقدار الله ما هو شر؟

الجواب: أنه قد يكون شرا بالنسبة لمن وقع عليه القدر لا أنه شرّ خالص من كل الجهات، فلِلّه تعالىٰ الحكمة البالغة، وهو يعلم ما لا نعلم، فقد يُقدّر شيئا ظاهره الشر ولكن ينبني عليه خير كثير.

مثال: حين يفقد الإنسان حبيبا أو قريبًا، فإنه بتقديره قد يتساءل لماذا؟ وقد يعترض، وقد يرىٰ ذلك شرا خالصا، بينما ذلك في تقدير الله له معانٍ كثيرة: منها الابتلاء، ومنها تكفير

السيئات، ومنها رفع الدرجات، ومنها العقوبة، ومنها القدر المحض والأجل، ومنها ما لا نعلم. فلا يصح للإنسان -المحدود العلم- أن يعترض علىٰ الله الذي له العلم الكامل التام الشامل سبحانه.

مثال آخر: يحرص أحدنا علىٰ عمل معين، أو زواج، أو حتىٰ لعبة بالنسبة للأطفال، ونبذل كل شيء لنظفر بما نريد، ثم قد نكتشف بعد مدة أن هذا الخيار الذي تعبنا لأجله ليس هو الخير، فكيف بعلم الله الذي يعلم المستقبل قبل وقوعه؟!

ماذا يعني الإيمان بالقدر؟ ومتىٰ نكون مؤمنين بالقدر؟

أول شيء يجب علينا تجاه الإيمان بالقدر أن نؤمن بأنه لا يحدث شيء في هذه الدنيا إلا وقد قدره الله تعالىٰ وكتبه قبل خلق السماوات والأرض، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه علىٰ الماء**»[1]

ثم بعد ذلك هناك مقامان تجاه ما يؤلمنا من الأقدار، أحدهما واجب، فمن لم يحققه فإن ذلك دليل علىٰ ضعف إيمانه بالقضاء والقدر ويكون مستحقًا للعقوبة، والثاني اختلف العلماء في وجوبه وإن لم يختلفوا في أنه مقام عظيم محبوب عند الله تعالىٰ.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٥٣)

• فالأول الصبر، وفيه معنىٰ المنع والحبس، أي أن تمنع وتحبس نفسك عن الجزع والتسخط، وعن شق الجيوب والألبسة، وعن لطم الخدود ونفش الشعور وحلق الرؤوس، ونحو ذلك. فيكتم الصابر ألمه، ولا يقول إلا ما يرضي ربه.

• والثاني الرضا. وهو مبني علىٰ تفويض الأمر لله، والتسليم له بأن ما يُقدّره فهو خير، فتجد الراضي منشرح الصدر، مطمئنا مسلّمًا، وهو صابر في نفس الوقت، أي أن مقام الرضا يمر بالصبر ويزيد عليه، فكل راضٍ صابر وليس العكس.

وفي كلا الحالتين لا يكون دمع العين وحزن القلب معارضا لهما، فهما من الرحمة التي جعلها الله في قلوب عباده.

ما ثمرات الإيمان بالقدر؟

١- الصبر علىٰ المصائب والكوارث:

لأنه يؤمن أن المصيبة مقدّرة، وانه لا يستطيع مغالبة القدر، وأن الله حكيم فيما يقضي، ففيم السخط؟! ولأنه يؤمن بأنه إن صبر فإن له أجرًا عظيما، فيحتمل الألم لأجل الأجر.

وأما من لا يؤمن بقضاء ولا قدر ولا أجر ولا ثواب ولا عقاب فسيجد صعوبة كبيرة في الصبر.

٢- السكينة والطمأنينة والرضا:

وهذه الطمأنينة هي التي يبحث عنها أكثر أهل الأرض، ولكنها لا تتحقق إلا للمؤمن، المؤمن الذي يعلم أن ما أصابه فهو

خير له، فهو لا يكتفي بكفّ نفسه عن الجزع، وإنما كذلك يرضىٰ ويسلّم، فينزل الله عليه السكينة والطمأنينة.

وتأمل معي هذا الحديث العظيم الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه[1] عن صهيب، قال: قال رسول الله ﷺ: «**عجبا لأمر المؤمن، إنّ أمْره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له**».

٣- الأجر والثواب:

المؤمن يفهم ويوقن بأن نعيم الجنة سيُنسيه كل بؤس وشقاء مر به، كما في صحيح مسلم[2] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتىٰ بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيرا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتىٰ بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤسا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط**».

كما أن المؤمن يعلم أنه إذا ظُلم فلم يستطع أن يأخذ حقه في الدنيا فإنه سيأخذه في الآخرة، وهذا كله يبعث علىٰ الطمأنينة واليقين والسكون.

---

(١) (٢٩٩٩)

(٢) (٢٨٠٧)

٤- إحسان التصرف واتخاذ القرار وعدم الطيش وقت المصيبة:

إذا تحققت الآثار السابقة من اليقين والرضا والطمأنينة فإن المسلم ولو حَزِن، أو تألم لمصيبة فإنه لا يفقد صوابه، ولا يطيش أو يرتكب حماقات بسبب المصيبة، فكثير من الناس إذا خسروا شيئا دنيويا مهما ولم يكن لديهم إيمان واحتساب، فإنهم يرتكبون ما لا تُحمد عاقبته إما من الضرب أو التكسير أو الإتلاف أو حتىٰ القتل أو الانتحار.

والمؤمن مُسلّم مطمئن محتسب.

ما أنواع كتابة الأقدار وقسمها؟

كتب الله ﷻ الأقدار كلها، من قبل أن تُخلق السماوات والأرض -كما مرّ معنا-، غير أن هناك أنواعا متعددة من الكتابة والتقدير:

١- الكتابة الشاملة لمقادير الخلائق، وهي السابقة لخلق السماوات والأرض، وهي في اللوح المحفوظ، كما قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ وقال المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه علىٰ الماء**»[1].

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٥٣)

٢- قَسْمُ الأقدار المتعلقة بكل سنة وعام وفَرْقُها، كما قال تعالىٰ: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدُّخَانِ: ٤] أي في ليلة القدر، قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية (أي: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلىٰ الكَتَبة أمر السنة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلىٰ آخرها. وهكذا روي عن ابن عمر، وأبي مالك، ومجاهد، والضحاك، وغير واحد من السلف)[١]

٣- كتابة أقدار الجنين في بطن أمه، كما في صحيح البخاري[٢] عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «**إن الله** عَزَّ وَجَلَّ **وكل بالرحم ملكا يقول: يا رب نطفة، يا رب علقة، يا رب مضغة، فإذا أراد أن يقضي خلقه، قال: أذكر أم أنثىٰ؟ شقي أم سعيد؟ فما الرزق والأجل؟ فيكتب في بطن أمه**».

هل يصح لأحد أن يحتج علىٰ ذنوبه بالإيمان والقدر؟

لا يصح لأحد أن يبرر انحرافه ومعصيته بالقدر، لأن الإنسان له إرادة حقيقية يستطيع الاختيار بها كما قال الله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾

(١) تفسير ابن كثير للآية ٤ من سورة الدخان

(٢) (٣١٨)

وهي الإرادة التي لأجلها خلق الله الجنة والنار، وأرسل الرسل بالحجج والبينات؛ وإلا فإذا لم تكن عند الإنسان إرادة فما الفائدة من إرسال الرسل وإقامة الحجة؟

ونحن جميعا نشعر بقدرتنا علىٰ الاختيار في أمور حياتنا، ولا نرضىٰ ولا نقبل باحتجاج أحد علينا بالقَدَر، فلو أن أحدًا سرق منا شيئا ثم قال: آسف! هذا قضاء وقدر! لما قبلنا، ولأمسكنا به وعاقبناه أو قُدناه إلىٰ الشرطة.

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسىٰ؛ فقال موسىٰ: يا آدم، أنت أبونا خيبتنا، وأخرجتنا من الجنة. فقال له آدم: أنت موسىٰ، اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني علىٰ أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فقال النبي ﷺ: «**فحج آدم موسىٰ، فحج آدم موسىٰ**»(١). أي غلب آدم موسىٰ في حجته، فهذا احتجاج بالقَدَر علىٰ المصيبة وليس علىٰ المعصية، والمصيبة هنا هي: الخروج من الجنة، وهي ليست من إرادة آدم، وإنما بقدر الله، وأما أكْلُه من الشجرة فهو بإرادته فلذلك قال ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾.

ما الأمور المعينة علىٰ الصبر والرضا بالقدر؟

١- تذكر العاقبة، وما أعده الله ﷻ للصابرين، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ

(١) أخرجه البخاري (٣٤٠٩) ومسلم(٢٦٥٢) واللفظ له

وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ فالصابرون يرحمهم الله ويصلي عليهم -أي يذكرهم بالثناء في الملأ الأعلىٰ-.

٢- تذكر محبة الله للصابرين، وأن المصيبة قد تكون هي السبب الموجب لمحبة الله للعبد إذا أتبعها بالصبر والإيمان، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

٣- اليقين بأن الله ﷻ عليم حكيم، فإذا قضىٰ شيئًا فهو خير من جهة تقديره ﷻ ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

٤- الفهم التام بأن الجزع لا يفيد، وأن السخط وبال علىٰ الإنسان، يضيّق الصدر، ويكدّر الخاطر، ويزيد الذنوب، ولا يرد شيئا، فمن يسخط علىٰ قضاء الله فإنه لن يغير في الابتلاء شيئا، بل يضر نفسه.

القسم الثالث

ما يضاد الإيمان ويُناقضه

الأبواب المضادة للإيمان

من المهم أن يعرف الإنسان الأبواب التي تضاد إيمانه؛ ليستفيد أمرين:

الأول: ليحذرها ويجتنبها، فإن من لا يعرف الشر يقع فيه.

الثاني: ليزداد بصيرة في معالم الإيمان وحدوده؛ وبضدها تتميز الأشياء.

وهذا من أهم ما تميز به أصحاب رسول الله ﷺ أنهم عرفوا الشرك وحدوده والإيمان وحدوده، فالتزموا بالإيمان علىٰ بصيرة، واجتنبوا ما يضاده عن علم وفهم وإرادة.

ولذلك كان حذيفة رضي الله عنه يسأل رسول الله ﷺ عن الشر ليحذره ويجتنبه ويعرف علاماته ويميزها، كما ثبت في صحيح البخاري[1].

(١) (٣٦٠٦)

وتأمل معي هذا الكلام المهم من الإمام ابن تيمية رحمه الله لتدرك أهمية معرفة حدود الشر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (من لم يعرف إلا الخير فقد يأتيه الشر فلا يعرف أنه شر، فإما أن يقع فيه، وإما أن لا ينكره كما أنكره الذي عرفه .. ومن نشأ في المعروف لم يعرف غيره فقد لا يكون عنده من العلم بالمنكر وضرره ما عند مَن عَلِمَهُ، ولا يكون عنده من الجهاد لأهله ما عند الخبير بهم .. ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم أعظم إيمانا وجهادا ممن بعدهم، لكمال معرفتهم بالخير والشر، وكمال محبتهم للخير وبغضهم للشر، لما علموه من حسن حال الإسلام والإيمان والعمل الصالح، وقبح حال الكفر والمعاصي ... ولهذا يقال: والضد يُظهر حسنه الضد). انتهىٰ كلامه رحمه الله[1]، ولا شك أنه لا يقصد الحث علىٰ الوقوع في الشر بغرض التعرّف عليه، وإنما غاية ما يريد قوله ابن تيمية في هذا النص هو ضرورة معرفة الشر وحدوده ليتميز الحق وحدوده، وليكون صاحب الحق علىٰ بصيرة، وليكون له من بغض الكفر والشر بقدر معرفته بقبحهما.

الكفر والشرك والنفاق:

حين نمرّ علىٰ ذِكر الشرك والكفر والنفاق -ونحن نتلو كتاب الله أو نقرأ سنة نبيه ﷺ-، فإننا نتخيل أشياء في غاية البُعد عنّا، ولا نظن أنها يمكن أن تهددنا في يومٍ من الأيام، وربما

(١) الفتاوىٰ (١٠/ ٣٠١)

يكون ذلك لجهلنا بكثير من التفاصيل المتعلقة بهذه الأسماء الشرعية.

وفي الحقيقة فإن كلًّا من الكفر والشرك والنفاق، فيه درجات، فهناك الكفر الأكبر والكفر الأصغر، والشرك الأكبر والأصغر، والنفاق الأصغر والأكبر.

والأصغر من هذه الأسماء ليس خاصا بالكفار، بل يمكن أن يقع فيه المسلمون، وهو يقود إلىٰ الأكبر، فالرياء مثلًا شرك أصغر وكثيرا ما يقع فيه أناس من المسلمين، وإخلاف الوعد والكذب في الحديث وخيانة الأمانة من صفات المنافقين، وهي نفاق أصغر وكثيرا ما يقع فيها أناس من المسلمين، ولذلك فإن الصحابة لصدق إيمانهم وتقواهم كانوا يخافون النفاق علىٰ أنفسهم مع كل ما لديهم من صلاح وعمل، وتجد أحدنا اليوم آمنًا وكأنه قد أخذ مفاتيح الجنة بيديه.

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن أبي مليكة قال: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق علىٰ نفسه ما منهم أحد يقول: إنه علىٰ إيمان جبريل وميكائيل[1]وقال الإمام ابن القيم رحمه الله (تالله لقد قطّع خوف النفاق قلوب السابقين الأولين، لعلمهم بدقه وجله وتفاصيله وجمله، ساءت ظنونهم بنفوسهم حتىٰ خشوا أن يكونوا من جملة المنافقين، قال عمر بن

(١) قبل حديث رقم (٤٨) في البخاري

الخطاب لحذيفة ﵁: يا حذيفة، نشدتك بالله، هل سماني لك رسول الله ﷺ منهم؟ قال: لا، ولا أزكي بعدك أحدا، . . وذكر عن الحسن البصري: ما أمنه إلا منافق، وما خافه إلا مؤمن، ولقد ذكر عن بعض الصحابة أنه كان يقول في دعائه: اللهم إني أعوذ بك من خشوع النفاق، قيل: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يرىٰ البدن خاشعا والقلب ليس بخاشع.

تالله لقد مُلئت قلوب القوم إيمانا ويقينا، وخوفهم من النفاق شديد، وهمهم لذلك ثقيل، وسواهم كثير منهم لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، وهم يدّعون أن إيمانهم كإيمان جبريل وميكائيل)[1].

فلا بد من معرفة حدود هذه الأسماء والأوصاف، وإدراك تفاصيلها وأنواعها، لنحذر منها ونجتنبها. وقد وجدت كلامًا سهلًا ميسرًا للإمام ابن القيّم في أقسام الكفر والشرك والنفاق وذلك في كتابه الجميل: مدارج السالكين، فسأعتمده أصلًا وأنقله باختصار، ثم أزيد بعض التوضيحات، والنقولات كذلك.

قال رحمه الله تعالىٰ: (الكفر نوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر. فالكفر الأكبر هو الموجب للخلود في النار، **والأصغر** موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود، كما في قوله قوله ﷺ في الحديث: «**اثنتان في أمتي، هما بهم كفر: الطعن في النسب،**

(١) مدارج السالكين (١/ ٦٢٣-٦٢٤) ط: طيبة

والنياحة» وقوله: «**لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض**»

وأما الكفر الأكبر، فخمسة أنواع: كفر تكذيب، وكفر استكبار وإباء مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق.

فأما كفر التكذيب فهو اعتقاد كذب الرسل، وهذا القسم قليل في الكفار، فإن الله تعالىٰ أيد رسله، وأعطاهم من البراهين والآيات علىٰ صدقهم ما أقام به الحجة، وأزال به المعذرة، قال الله تعالىٰ عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ﴾ [النمل: ١٤] وقال لرسوله ﷺ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، وإن سمي هذا كفر تكذيب أيضا فصحيح، إذ هو تكذيب باللسان.

وأما كفر الإباء والاستكبار فنحو كفر إبليس، فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار، ومِن هذا: كُفْرُ مَن عَرَف صدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، ولم ينقد له إباء واستكبارا، وهو الغالب علىٰ كفر أعداء الرسل، كما حكىٰ الله تعالىٰ عن فرعون وقومه: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧] وقول الأمم لرسلهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠] وقوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ [الشمس: ١١] وهو كفر اليهود كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٨٩] وقال: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْۖ﴾ [البقرة: ١٤٦]

وأما كفر الإعراض فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول، لا يصدقه ولا يكذبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلىٰ ما جاء به البتة.

وأما كفر الشك فإنه لا يجزم بصدقه ولا يكذبه، بل يشك في أمره، وهذا لا يستمر شكه إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسول ﷺ جملة، فلا يسمعها ولا يلتفت إليها، وأما مع التفاته إليها، ونظره فيها فإنه لا يبقىٰ معه شك، لأنها مستلزمة للصدق، ولا سيما بمجموعها، فإن دلالتها علىٰ الصدق كدلالة الشمس علىٰ النهار.

وأما كفر النفاق فهو أن يظهر بلسانه الإيمان، وينطوي بقلبه علىٰ التكذيب، فهذا هو النفاق الأكبر، وسيأتي بيان أقسامه إن شاء الله تعالىٰ.

وأما الشرك -ولا يزال الكلام لابن القيم رحمه الله- فهو نوعان: أكبر وأصغر.

فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو أن يتخذ من دون الله ندا، يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي تضمّن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، ولهذا قالوا لآلهتهم في النـــار: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨] مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء، وربه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق، ولا تحيي ولا تميت، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال

أكثر مشركي العالم، والذي في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله، وهذا عين الشرك، وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه وأبطله، وأخبر أن الشفاعة كلها له، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا لمن أذن الله أن يشفع فيه، ورضي قوله وعمله، وهم أهل التوحيد، الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء، فإنه سبحانه يأذن لمن شاء في الشفاعة لهم، حيث لم يتخذهم شفعاء من دونه، فيكون أسعد الناس بشفاعة من يأذن الله له صاحب التوحيد الذي لم يتخذ شفيعا من دون الله ربه ومولاه.

وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء، والتصنع للخلق، والحلف بغير الله، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» وقول الرجل للرجل: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وإنا بالله وبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل علىٰ الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا شركا أكبر، بحسب قائله ومقصده، وصح عن النبي ﷺ أنه قال لرجل قال له: ما شاء الله وما شئت: «**أجعلتني لله ندا؟ قل: ما شاء الله وحده**» وهذا اللفظ أخف من غيره من الألفاظ.

والشرك أنواع كثيرة، لا يحصيها إلا الله، ولو ذهبنا نذكر أنواعه لاتسع الكلام أعظم اتساع، ولعل الله أن يساعد بوضع كتاب فيه، وفي أقسامه، وأسبابه ومباديه، ومضرته، وما يندفع به.

وأما النفاق: فالداء العضال الباطن، الذي يكون الرجل ممتلئا منه، وهو لا يشعر، فإنه أمر خفي علىٰ الناس، وكثيرا ما يخفىٰ علىٰ من تلبس به، فيزعم أنه مصلح وهو مفسد.

وهو نوعان: أكبر، وأصغر: فالأكبر يوجب الخلود في النار في دركها الأسفل، وهو أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به، لا يؤمن بأن الله تكلم بكلام أنزله علىٰ بشر جعله رسولا للناس، يهديهم بإذنه، وينذرهم بأسه، ويخوفهم عقابه). انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ[1]. وهو كلام مهم مع أنني اختصرت منه كثيرًا، فمن أراد الاستزادة فليراجع مدارج السالكين في الموضع المشار إليه في الحاشية.

ونلاحظ في كلامه أنه لم يذكر النفاق الأصغر بصورة مستقلة، فلا بد من ذكره والإشارة إليه، ولكن قبل ذلك، أود أن نزداد تعرفًا علىٰ بعض صور النفاق الأكبر، لأنه في غاية الخطورة، وكان موجودًا علىٰ عهد النبي ﷺ، ولم ينته إلىٰ اليوم، وسأذكر فيه نصّين من كلام شيخِ ابن القيم: أبي العبّاس ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم أنتقل إلىٰ بيان النفاق الأصغر.

النص الأول: قال ابن تيمية: (فمن النفاق ما هو أكبر، ويكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار، كنفاق عبد الله بن

(١) مدارج السالكين (١/ ٥٨٧-٦٠٧) باختصار كثير.

أُبيّ وغيره، بأن يظهر تكذيب الرسول أو جحود بعض ما جاء به، أو بغضه، أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه، أو المسرّة بانخفاض دينه، أو المساءة بظهور دينه، ونحو ذلك: مما لا يكون صاحبه إلا عدوًا لله ورسوله، وهذا القدر كان موجودًا في زمن رسول الله ﷺ، ومازال بعده، بل هو أكثر منه علىٰ عهده)[1].

وتأمل قوله: المسرّة بانخفاض دين الرسول، أو الاستياء بظهور دينه!

النص الثاني: قال ابن تيمية أيضًا: (فأما النفاق المحض الذي لا ريب في كفر صاحبه، فإنه لا يرىٰ وجوب تصديق الرسول ﷺ فيما أخبر به، ولا وجوب طاعته فيما أمر به، وإن اعتقد مع ذلك أن الرسول عظيم القدر- علمًا وعملًا- وأنه يجوز تصديقه وطاعته لكنه يقول: إنه لا يضر اختلاف الملل إذا كان المعبود واحدًا، ويرىٰ أنه تحصيل النجاة والسعادة بمتابعة الرسول وبغير متابعته، إما بطريق الفلسفة والصبو، أو بطريق التهود والتنصر). انتهىٰ[2].

وأما النفاق الأصغر فهو راجع إلىٰ اختلاف الظاهر والباطن في بعض الأعمال كصدق الحديث والوفاء بالوعد وتأدية الأمانة،

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٨/ ٤٣٤)

(٢) الإيمان الأوسط (١٨٠(

كما ثبت عنِ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وسلَّم أنَّه قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان**»[1] وثبت عنه ﷺ أنه قال -كذلك-: «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتىٰ يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»[2]

والمؤمن لا يمكن أن يداوم علىٰ كذب الحديث وخيانة الأمانة والغدر بالعهد، فلا يتهاون الإنسان مع نفسه في الوقوع في أفراد هذه الأعمال؛ كيلا ينتقل إلىٰ المداومة عليها والجمع بينها فيكون منافقا خالصا كما قال النبي ﷺ.

الرياء والعمل لغير الله:

إن من علامات ضعف التعلق بالله، وقوة التعلق بغيره، أن يعمل المسلم أعمالا هي في أصلها من العبادات، ولكنه يقوم بها لا ليرضي من أمر بها، وإنما ليكتسب مكانة عند الناس وسمعة، وهذا في غاية الخطورة.

والناس -علىٰ الحقيقة- لا ينفعون ولا يضرون؛ فلم التصنّع لهم؟

---

(١) البخاري (٣٣) ومسلم (٥٩).

(٢) البخاري (٣٤) ومسلم (٥٨)

والله هو الذي يملك قلوب الناس، وهو قادر علىٰ تحبيبك إليهم كلما أخلصت له أكثر، وقادر علىٰ تبغيضك إليهم كلما صرفت نيتك عنه، فهو الغني الحميد سبحانه.

والعمل لغير الله له صورتان:

الأولىٰ: أن يقصد غير الله بعمله ابتداءً وانتهاءً، فهذا رياء محض. وهو من صفات المنافقين الذين إذا قاموا إلىٰ الصلاة قاموا كسالىٰ يراؤون الناس، فهم لا يصلون لله وإنما للناس، ولا شك أن هذا من الشرك، فعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**قال الله تبارك وتعالىٰ: أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**».

الثانية: أن يقصد الله ﷻ بعمله ولكن بالإشراك مع نية أخرىٰ. فإن شاركه الرّياء من أصل العمل، يعني من أوله وابتدائه، كأن يكون قصده: وجهَ الله وثناءَ الناس، فهذا العمل باطل. قال ابن رجب: (لا نعرف عن السلف في هذا خلافًا)[1] يعني في بطلان هذا العمل. وهو رياء وشرك.

وأما إذا كان قد أنشأ العمل لوجه الله، ثم طرأت عليه نيّة الرّياء بعد النيّة الصالحة فدافعها ولم يجعلها تستقرّ، فهذه الحال لا تضرّ المؤمن ولا تُبطل العمل بغير خلاف كما نقل ابن رجب -أيضًا-[2]، ولا تؤثر علىٰ صاحبها من جهة الثواب والعقاب.

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٨٢)

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٨٤)

هذا وإن من أعظم ما يعين الإنسان علىٰ الإخلاص: معرفة الله حق المعرفة، والطمع في ثوابه، والخوف من عقابه، وعدم تعظيم الناس فوق مرتبهم -فإن هذا أصل عظيم من أصول المعاصي والذنوب-.

الخاتمة

إلىٰ الجيل الصاعد:

لنتذكر أن عقيدة المسلم ليست نصوصًا تُحفَظ، ولا أقوالًا يُجادَل بها، وإنما هي إيمان وخشوع وإخبات، وعمل وفاعلية وحياة، ويقين وطمأنينة ورضا.

وإلىٰ طلاب العلم، والقائمين علىٰ العمل الدعوي والتربوي، والمشتغلين بالدرس العقدي:

إن علينا أن نغرس أصول العقيدة والثوابت الكبرىٰ في عقول الجيل، وأن نعتني باللغة المقنِعة المبرهَنة، وأن نحرص علىٰ تحقيق الأثر العقدي المرجو من علم العقيدة، ألا وهو الإيمان بالغيب والتسليم لله ورسوله والانقياد لهما، وتحقيق العبودية لله توكلًا وإنابة واعتصاما.

كما أن علينا أن ندرك طبيعة التحديات العقدية المعاصرة التي اقتلعت الجذور الإيمانية لدىٰ كثير من أبناء الجيل الصاعد.

وهي تختلف كثيرا عن التحديات المرتبطة بالتراث العقدي الإسلامي، فإشكالات اليوم قد أدّت إلىٰ تفكيك الإنسان، وقطعت علاقته بالغيب، وفتّت أصوله وقيمه ومرجعياته الأخلاقية الكبرىٰ، أو دعت في أقل أحوالها إلىٰ أن تكون علاقة التدين البشري بالله شخصية في الإطار الفردي للإنسان مع عزله عن أي تأثير عام فضلًا عن أن تكون له الهيمنة والمرجعية الحقيقية.

ولذلك فإن فهم المشتغلين بالدرس العقدي للاتجاهات العلمانية والليبرالية والإلحاد والمادية والعلموية والإنسانوية ونحوها لا يقل أهمية عن فهمهم لأقوال المعتزلة والمرجئة والقدرية والخوارج، بل الحاجة إلىٰ فهم أقوال تلك الاتجاهات أَمَسّ، والضرورة إلىٰ نقضها أشد . . والله المستعان.

هذا؛ وأسأل المولىٰ القدير، العزيز الغفور، أن يبارك ويتقبل، وأن يغفر الزلل، ويكفر السيئات، والحمد لله رب العالمين، وصلّ اللهم علىٰ النبي الكريم محمد.

المؤلف

ليلة السابع من رمضان عام ١٤٤١ هـ

الموافق ٣٠/ ٤/ ٢٠٢٠

ALSAIYD998@GMAIL.COM